مهداة الى الاستاذ عبد المجيد لطفي

لو يئسنا لشكونا ولكنه ...

بقلم : محمد ياسين رشيد

... قبل مدة لا تتجاوز الشهرين ، حمل لنا البريد على صفحات مجلة « البيان » المباركة مقالا للأستاذ عبد المجيد لطفي بعنوان « النهاية » وعجلت بتقليب الصفحات لأصل الى « النهاية » المطلوبة قرأت هذا المقال الذي كتبه (أبو سعد) وهو في غمرة يأسه وسورة غضبه وحدة نقمته واذا نحن بها ثورة نفس أضناها الهم ، وآسنها اليأس ، وفت في عضدها الأسى . ولذلك فقد جاء مجلجلا مدويا ، مشبوبا بالآهة الحرى ، والدمعة السخينة ، ومزوجا بالعبرة والندم ، وبعد انتهائي من قراءته وجدتني متعبا متهالكا كأني قطعت مسيرة ساعات مشيا على الاقدام .

ثم استعرضت حياة الاستاذ الادبية ، فوجدت صوته مازال يرن في أذن كل محب لأدبه وعاشق لنبعته وشغوف بأسلوبه . وهكذا بقي الاستاذ يعتصر فكره ، ويريق دموعه ودمه ويستنفذ كل ما تملكه يداه ليقدمه الى قرائه وهم في قصورهم أو مبادلهم . في بيوتهم أو أعمالهم في ترفهم ولهوهم ، وكأنه وقد نصب من نفسه مدافعا عن تراث أشفى على الضياع ، وعن ميراث آل الى النهب والسلب والتبذير شأنه شأن الجندي المؤمن الذي يدافع عن وطنه بدافع الغيرة الوطنية ، وبدافع الاجر والثواب ، فهو لم يضع نصب عينيه إلا النصر المحقق أو الموت المشرف .

واذا نحن بجندينا الاستاذ يخرج اليوم من المعركة التي أثخن منها جراحا ، وامتلأت نفسه منها شجنا وأهوالا ، يخرج ليريح بقايا أعصاب أرهقها الاعياء ، ويريح فكرا طالما أتعبه التفكير ، واجهدته المحاولات ، محاولا كسر قلمه [وهو سلاحه] ورميه الى الخارج بنقمة وامتعاض وازدراء مرددا قول أبي نؤاس :

اذا لم يكن فيكن ظل ولاجنى فابعدكن الله من شجراتي

هذا القلم الذي ماجنى وراءه إلا الحرمان ، وما تجرع من كأسه إلا الندم والخسران .

فلو ان الطبيعة لم تخلق من [أبي سعد] ذلك الانسان الاديب (أي) لو أنه توجه توجيها اقتصاديا او سياسيا لكنت وقد رأيت هذا الانسان الهائل المحطم الآن انسانا ترتعد لقوته وجبروته ، وتستفز لثرائه الطائل وجاهه العريض .

ولكن ما لهذا البلد العاق لابنائه ، والجاحد لفضلهم ، والناكر للجميل ، يترك هذه النسائم الحلوة ، والانغام الشجية . والارواح اللطيفة ، تتصوح وتكتسحها اعاصير البطالة والفناعة والحرمان ، فتهبط بين عشية وضحاها الى دركات الضعف والامتهان . هذه الارواح التي ماخلقت إلا لتكون راشدة الضال ، وهادية التائه ، وموقظة النوام .

أما وقد سمعنا صوت أديب له مكانته بين الادباء ، ومنزلته في القلوب . يحط عليه المرض باوصابه وآلامه ، فيذهب ضحية فقره أو يكاد ، ولا يجد في محنته صديقا يواسيه إن لم يحدب عليه ويساعده . ما أبخس حياة الاديب في هذا البلد ، وما أنكد عيشه ، وأسوأ طالعه . واسمع ياعزيزي قول أخيك الاسمر :

يا خليلي فاضت اليوم كأسي ... فاهدياني الى سبيل التأسي
ليت شعري فيم المقام بارض ... لا يباغ الاديب فيها بفلس
أدب ضائع وقوم سكارى ... لست أدري باي خمر وكاس
لك يارب حكمة في رجال ... لنعيم وآخرين لبؤس
لا رعى الله أرض قومي ولا با ... رك فيها إلا لأحمق نكس
لاتلمني اذا سمعت شكاتي ... او فهب لي إن تستطع غير حسي
لو يئسنا لما شكونا ولكن ... كيف نحظى مع الشباب بياس

ثم ما أجدر بالحكومة أن تشمله بعين رعايتها ، ولديها من المرافق ما تتفق وقابليات هؤلاء الادباء النابهين .

يقتل الجندي في سوح الشرف ، أو يصاب الشرطي في

مطاردة الشقاة والجناة فتكافئه الحكومة بمنحة مالية أو هبات ؛ ويصاب العامل في معمل من معامل الاهلين ، فيعوض صاحب العمل هذا العامل عما افتقده من عضو ما انتفع بانتاجه وشغله . أو عوض لاهليه عما افتقدوه من ناصر ومعيل . ويخلص الخادم في خدمة سيده فيجزل له بالعطاء بعد حين ، ولكن ما بال هؤلاء النفر الذين سموا أنفسهم «أدباء» يمرضون في بيوتهم فلا يزارون ويتمرضون فلا يعادون ؛ ويلمسون فلا يساعدون في الوقت الذي تجد فيه المتأدب المتطفل على الادباء من الذين يعفرون جباههم بتراب حذاء الغاصب أو الحاكم ويتيمسون خطى الوجوه ؛ وأهل الثراء مذبذبين ؛ بين بين . فلا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

نحن كل يوم نبرهن على تفكك الأخلاق وتفسخ الآداب ؛ وما هذه الفوضى الضاربة اطنابها في كل مرافق حياتنا سواء كانت اقتصادية او اجتماعية ، سياسية أو أخلاقية ؛ أدبية أو فنية ، إلا كنتيجة حتمية لهذا التفكك وهذا التخاذل والتفسخ والانحلال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى وما لا نرقع

ثم ما هذا الشباب المتشائم الناقم والذي يتخبط خبطة عشواء ، وكأنه يسير في حلم لذيذ لا يعضه ألم ولا يدميه مؤلم ؛ فرحماك يارب من هذه المتاهة التي احتلتنا سواء السبيل وما كل ذلك إلا من سياسة الارتجال التي تمشينا عليها في كل شيء من كياننا هذا .

اي عزيزي : كان من ظني أن أقول لك بعض عبارات التصبر والسلوان وكنت أريد أن أقول إن عليك رسالة يجب أن تؤديها كاملة بالرغم مما تناله من حرمان وافلاس مدقع ، وعوز ملح . ولكن أراك وقد نفضت يديك من كل شيء من حولك بقولك : -

[فقد وجدت نفسي في المستشفى مضنى من العمل قبل شهور قليلة مضت وأنا بين الموت والحياة ، ووجدت أطفالي التعساء لا يملكون شيئاً سوى الدموع ، ورأيت زوجي لا تستطيع سد نفقات المعالجة إلا ببيع ما عندنا من تافه الاثاث ، ووجدت حصاد أكثر من عشرين سنة في خدمة الادب قبضة من الاصدقاء الجاحدين ، وأشباه الاصدقاء المتنكرين » ثم قلت « فانا الآن لا املك لنفسي من شيء سوى الرثاء باوانه على تلك [الحماقة] الطويلة التي استمرت سنوات مثقلة بالهموم واستنزفت نصف العمر وإن كان الرثاء لا يجدي شيئاً » .

مهلا يا استاذ : أتعني - بالحماقة - ذلك الادب الذي كان يتفجر من نبعك الصافي أم ذلك الشعر الحلو الجميل ؟ أم تلك القصص الشيقة التي أحييت في النشء الحب والخير والصلاح ؟؟

ولك الحق أن تنعتها بالحماقة ، وسيظل الأديب أحمقاً مالم يفرض نفسه وأدبه على الناس فرضاً وأن يكون واقعيا في كل شيء .

نعم من الجائز أن يكون رب السيف أديباً ، والسياسي أديباً ، ورب المبضع أديباً وصاحب الاعمال أديباً ، فادب هذه الجماعة أدب - هواية - وسد رغبة ، أما بقية الادباء فقد اتخذوا الأدب مهنة لهم وصناعة واقتصروا على ادائها كاملة . وكرسوا حياتهم لاجلها ؛ وليس من المروءة ولا من الانصاف أن نكيل لهم المديح جزافا ، ونجزل لهم بالثناء والاطراء ولا نمدهم بالمال اللازم والمعاش الكافي ولا نلتفت اليهم يوم ان تدور الدوائر أو تنزل النوائب بواحد منهم . واذا كنا لا نعتبر هذا النوع من التقصير اغتصابا لحقوقهم . فهو أنانية ذميمة ، واثرة دنيئة وتمشية مصالح على حساب الآخرين .

أيها السادة الاخيار . أرجعو الى ضمائركم وخذوا بنصر هذه الزمرة وامسكوا بحجزها عن الهلاك والتردي والضياع .. وراعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « كان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » .

بعقوبة . محمد ياسين رشيد

معرض الزهراء لصاحبه

احمد شاكر النجار

تجد فيه انواع المو بيلات الحديثة والنجارة الفنية زوره مرة واحدة
تجد فيه الاتقان والفن والمهاودة في الاسعار والسرعة في العمل.